إيبارشية جنوبي أمريكا للأقباط الأرثوذكس

الرسالة الشهرية لزوجات الآباء الكهنة أكتوبر ٢٠٢٠ م

الوحدة المقفرة

أختي العزيزة في المسيح

كتب أحد المؤلفين ذات مرة: "الرغبة الإنسانية الأساسية هي أن تشعر وكأنك تنتمي". ومع ذلك، في بعض الأحيان، حتى في خضم حياتنا المزدحمة، سواء في العمل أو في الكنيسة، نشعر بأننا متروكين وفي غير مكاننا كزوجات كهنة.

هذه الوحدة المقفرة التي تأتي علينا بين الحين والآخر ليست فريدة من نوعها بالنسبة لنا. إنها جزء من حالة الإنسان أن نتساءل عن أماننا في الشيء الذي نرغب فيه أكثر، أي مكان ننتمي. بعض الرجال والنساء الأقرب إلى الله شعروا بهذه الوحدة.

إنني أفكر أولاً في إيليا، الذي يقول"أنا بقيت نبياً للرب وحدي"، (١مل ١٨: ٢٢). إنه يقف وحده ضد أنبياء البعل وآخاب الشرير وملكته إيزابل. حتى في النصر، ومع ذلك، شعر بهذه الوحدة المقفرة. في ١مل ١٩: ٤، يصلي إيليا إلى الله أن يموت: "قد كفى الآن يا رب! خذ نفسي لأني لست خيراً من آبائي!" إذ كان مجهداً ومطارداً، لم يكن له أحد يلجأ إليه سوى الله نفسه. إنه لا ينتمي الى أحد إلا الله نفسه ، والله بدوره يعتني به.

أفكر أيضاً من موسى، الذي في سفر العدد، يصرخ إلى الله قائلاً: "لا أقدر أنا وحدي أن أحمل جميع هذا الشعب لأنه ثقيل عليّ. فإن كنت تفعل بي هكذا، فاقتلني قتلاً إن وجدت نعمة في عينيك، فلا أرى بليتي" (عد ١١: ١٤-١٥). صحيح ما يقولونه " إنه وحيد في القمة". بالنسبة لموسى، المسؤول عن كل هؤلاء الناس لمدة ٤٠ عاماً في البرية، لا بد أنه كان وحيداً جداً. حتى شقيقه وأخته، اللذين عُيّنا لمساعدته، لم يكونا دائماً موثوقاً فيهما أو داعمين.

وإذا كانت الوحدة موجودة على القمة ، فكم تكون بالأكثر عند سفح الجبل. يوسف، الأخ الصغير، إذ تطلع إلى عشرة إخوة أكبر وأقوى وأكثر ذكاءً وقدرة، لابد وأن شعر بالوحدة بشكل رهيب في بعض الأحيان. ليس من السهل أن تكون كبش فداء لأمان إخوتك الشخصي. أحاول أن أتخيل كيف كان الأمر بالنسبة له تلك الليلة المظلمة في البئر. ما هي الأفكار الجامحة التي لا بد أنها مرت برأسه؟

إذ جاء الصباح، لم تأتِ رحمة أو خلاص، ولكن رحلة مريرة كعبد إلى أرض أجنبية. في منزل فوطيفار، وإن كان قد اقتنى القليل من الانتماء، إلا أنه فقده كله على يد زوجة فوطيفار. في السجن، اكتسب بعض الاحترام وربما، ولكنه ظل لمدة عامين منتظراً رئيس السقاة أن يتذكره. هذه رحلة طويلة ووحيدة لتحقيق إرادة الله في حياته.

في كل تلك الوحدة ، يكون من السهل التفكير في إتباع حل سهل. إنني أفكر في اختيار شمشون دليلة مراراً وتكراراً، على الرغم من أنها لم تكن أبداً قراراً جيداً ، والطريقة المرة التي كلفته حياته. أفكر في زوجة فوطيفار نفسها، التي لا بد أنها شعرت بنوع من الوحدة المقفرة - ولكن بدلاً من اتخاذ خيارات جيدة، فإنها دمرت حياة شاب بريء. أو في قصة حكمة سليمان، الأم التي اختنق مولودها الجديد والتي تسعى إلى جعل طفل شخص آخر طفلها،على حساب إنسانيتها.

حتى بالنسبة لنا، كزوجات كهنة، هناك إغراءات للتجنب ومزالق للهروب. العالم يقدم لنا الكثير من "الحلول" لوحدتنا التي لا تقودنا إلى خلاصنا، ولا تبنينا. ما نحتاج إلى القيام به في وحدتنا هو أن نطلب الله بحرارة. يقول الأب تريفون، رئيس

دير في ولاية واشنطن: "بالنسبة للمسيحيين الأرثوذكسيين، يجب أن يكون هذا الشعور بالعزلة والوحدة بمثابة جرس تنبيه لنا للتركيز أكثر على علاقتنا مع الله". إنها دعوة إلى الصراع مع الله.

إذ واجه يعقوب لقاء أخيه عيسو عدة سنوات بعد خيانته، أرسل الجميع أمامه وقضى ليلة واحدة في الوحدة المقفرة والخوف. وبدلاً من أن يستسلم لتجاربه الخاصة أو شكوكه, اختار أن يصارع مع الله طوال الليل. في تكوين ٣٢، نقرأ أنه أمسك به بشدة، حتى بعد أن أصيب، حتى حصل على بركة. يعقوب في رهبة أعاد تسمية ذلك المكان قائلاً: "لأنني رأيت الله وجها لوجه". هذا ما ينتظرنا عندما نختار أن نصارع مع الله بدلاً من الاختباء في شيء آخر.

في كل حالة، وخاصة في لحظات وحدتنا المقفرة، لدينا خيار إما أن نحلها بطريقتنا الخاصة المكسورة، أوأن نمارس الخضوع والثقة في ذاك الذي يعرف بحق. الفرق الناتج عن اختيار الله بدلاً من اختيار الحل المؤقت هو ملفت ومطلق. سوف نجعل علامة جديدة في حياتنا وفي نمونا الروحي. سوف نحصل على اسم جديد، سمة جديدة، كنتيجة لاختيار مواجهة الله والاتكال عليه.

وعلى أي حال، دعونا نتحدث عن هذا العمل من الانتماء. الأب توماس هوبكو يكتب قائلاً:

> "لم يكن لدى المؤمنين المسيحيين الأوائل هوية دنيوية. لقد كانوا موتى عن هذا العالم. كانوا ينتمون إلى ملكوت الله. في أوطانهم كانوا أجانب. في الأراضي الأجنبية كانوا في المنزل. كانوا ينتمون في كل مكان وإلا لا مكان لأنهم كانوا "رعية مع القديسين وأهل بيت الله" (أف ٢: ١٩).

علاقتنا المعقدة مع الانتماء هي علاقة نتقاسمها حتى مع المؤمنين المسيحيين الأوائل. نحن غرباء في المجتمع الأمريكي، غرباء أحياناً عن زملاء العمل والجيران، ولسنا أعضاء كاملين في جمهورية مصر العربية، حتى لو كنا نحتفظ بتلك الجنسية. إن مواطنتنا هي في الأساس سماوية وليست أرضية. لدينا هوية أكبر وأكثر شمولاً. الأب هوبكو يكتب في مكان آخر قائلاً:

> "أنا مسيحي. أنا أرثوذكسي. أنا أنتمي إلى كنيسة المسيح المقدسة الجامعة الرسولية. أنا لديّ عقل واحد، وقلب واحد، وروح واحدة، وجسد واحد مع كل الذين ينتمون إلى المسيح والكنيسة، مهما كانت جنسيتهم وآراؤهم السياسية".

نحن في المنزل في كل كنيسة، وخاصة في كل كنيسة قبطية أرثوذكسية. هذا منزل أبينا. نحن نعرفهم جميعاً من خلال المشاهد والروائح والأصوات. نحن معروفون أيضاً بطقوسنا وممارساتنا.

يشارك الأب فلاديمير بيرزونسكي قصة عن فتاة مراهقة صغيرة وقفت على أبواب كنيسة في قبرص ولم يُسمح لها بالدخول. لقد افترض حارس الباب مع كاميرتها وفستانها الأمريكي أنها كانت مجرد سائحة أخرى. وأصرت قائلةً: "أنا أرثوذكسية". ولكن لم يسمح لها بالدخول حتى رشمت علامة الصليب فسمح لها بالعبور إلى المكان المقدس. يذكرني ذلك باوقات تم منعنا من دخول الأديرة القبطية حتى اظهر احدنا الصليب الموشوم على معصمه.

أنظري؟ أنت تنتمين. هذا الشعور بالوحدة هو سراب، وحرب روحية أُرسلت لتعذيبك. وكما يقول الأب تريفون: "إن شعورنا بالعزلة والوحدة لا يرتبط بالواقع. فكيف نكون وحدنا ونحن جسد واحد مع مسيحيين آخرين؟".

في لحظات الوحدة، دعونا نتذكر أننا ننتمي إلى الله وإلى بعضنا البعض. دعونا نصارع مع الله ونمد أيدينا إلى بعضنا البعض.

أختك في المسيح

ني – ني